الانفراج الجديد والصراعات الاقليمية

في ضوء الملامح التي أبرزتها التفاعلات الجارية منذ منتصف الثمانينات، يتضح ان النظام الدولي يعدّ في مرحلة انتقالية بين الحرب الباردة والتعاون يمكن وصفها بالانفراج الكبير. والاتجاه العام يدل على ان هذا الانفراج يسير حثيثاً نحو التفاهم والتعاون. وقد يتأكد هذا الفهم عند مراجعة ما ذكره غورباتشيوف، صراحة، في اثناء زيارته للولايات المتحدة الاميركية، في مطلع حزيران (يونيو) ١٩٩٠، حين قال انه «أبلغ الى الرئيس الاميركي انه يجب على القوتين العظميين ان تبتعدا من المواجهة وتتّجها الى التعاون»، الامر الذي رحّبت واشنطن به[١١]. والسؤال المطروح، الآن، يدور حول انعكاسات هذه الوضعية على الصراعات الاقليمية، وفي طليعتها الصراع العربي ـ الاسرائيلي، موضع الاهتمام في منطقتنا العربية؟

تنطلق الاجابة عن هذا السؤال من دلالة الخبرة التاريخية التي قدّمها النظام الدولي، في مراحله السابقة، في ما يتعلّق بمسار الصراع. ففي ظل التنافس بين القوتين العظميين، في أعقاب الحرب العالمية الثانية، على اتخاذ موطىء قدم في الشرق الاوسط، سارع كل من الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الاميركية الى الاعتراف باسرائيل (أيار ـ مايو ١٩٤٨). لقد كانت الولايات المتحدة الاميركية تحاول كسب الرأي العام اليهودي، ووراثة النفوذ الاوروبي، والوصول الى أقرب نقطة من مصادر النفط وأقرب نقطة من العملاق السوفياتي الناهض، لتطويقه ومحاصرة نفوذه المتنامي[١٢]؛ هذا في حين كان الاتحاد السوفياتي ينظر بريبة الى النظم العربية، معتبراً اياها بقايا نظام اقطاعي متحالف مع الاستعمار الغربي؛ وكان القادة السوفيات معجبين بتجربة «الكيبوتس» والحركة العمالية اليهودية، معتبرينها خطوات على طريق اسرائيل الاشتراكية ضد اليهودية الرأسمالية، وضد النظم الاقطاعية العربية[١٣]. كانت تلك هي المرحلة التي رأى فيها الطرفان، الاميركي والسوفياتي، ان مصلحتهما تكمن في تأييد اقامة اسرائيل، على الرغم من حالة الحرب الباردة المهيمنة على علاقاتهما. وقد استمرت اسرائيل تحظى بعلاقات طيبة مع العملاقين، حتى جاءت وقائع الحرب الكورية وأبدت تل ـ أبيب انحيازها الصريح الى جانب الولايات المتحدة الاميركية في الوقت الذي قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ في مصر، بقيادة جمال عبدالناصر، وبرزت المواقف التحررية للمنطقة العربية، وبخاصة بعد عقد صفقة الاسلحة التشيكيّة الشهيرة، في العام ١٩٥٥، وموقف عبدالناصر من الاحلاف الغربية. كل هذا أنتج موقفاً سوفياتياً ايجابياً من الطرف العربي في الصراع، وهو الموقف الذي استمر حتى تحوّل النظام الدولي الى حالة الانفراج الاولى في السبعينات، وربما في اثناء ذلك الانفراج، بشكل أو آخر[١٤].

وبصفة عامة، لم يكن الصراع العربي ـ الاسرائيلي بعيداً، بأي حال، من تفاعلات النظام الدولي طوال العقود الاربعة الماضية؛ بل وكان التنافس فيما بين الطرفين، العربي والاسرائيلي، على أشدّه في المنطقة العربية، بحيث كان الصراع أحد أهمّ الموضوعات في علاقات الدولتين العظميين[١٥].

لقد كانت تطوّرات الصراع المدخل الاساس لولوج النفوذ السوفياتي الى الشرق الاوسط، وفي السياق عينه، كانت الرغبة الاميركية في لجم هذا النفوذ السوفياتي، من العوامل التي أدّت الى تصعيد الصراع العربي ـ الاسرائيلي، وفتح باب المساعدة الاميركية لاسرائيل دون حدود. في هذا الاطار، كانت حالة الانفراج تثير القلق لدى الجانب العربي، على أساس ان هذه الحالة تعني تضاؤل فرص حرية الحركة (المناورة) بين العملاقين بالنسبة اليهم، وغالباً ما ينظر الى خبرة مصر، في الخمسينات،